أحـراش أم صفا

تنفيذ | دعم

الرؤيا الفلسطينية PALESTINIAN VISION | HEKS

إعداد: أحمد حنيطي

www.palvision.ps

2016

صور: مراد الشريف

يتحدث توفيق كنعان عن الغطاء النباتي في جبالنا الفلسطينية بالقول: «إن المسافر عبر فلسطين، ليشعر بالصدمة إزاء عري المناطق الجبلية، ويمكن له أن يصادف هنا وهناك بعض الحدائق والبساتين والكروم عموما، وهي مصطفة في محيط القرية،... ونجد، هنا وهناك، على الجبال الجرداء، أو في السهول، شجرة كبيرة منعزلة أو مجموعة أشجار مبعثرة، تعطي جمالا خاصا للمنطقة، وتضفي على المنظر مشهداً حيوياً رائعا. إنّ هذه الأشجار مظلة المسافر المحببة. فهي تحميه من أشعة الشمس الحارقة، وتعتبر مقدسةً عند المسلمين لأنها تدلّ على وجود نبيّ، وليّ، أو شيخ. وكانت قداسة هذه الأشجار التفسير الوحيد للنجاة من التخريب الذي آلت إليه غابات فلسطين»

(كنعان 1998: 25)

إن هذه الحالة للغطاء النباتي التي تحدّث عنها كنعان كانت نتيجة لعدة عوامل بشريّة بالأساس، منها قطع الأشجار لاستخدامها كطاقة للقاطرات أيام الفترة العثمانية، بالإضافة إلى استخدامها في وسائل التدفئة والطهي وغير ذلك من الاستخدامات المنزلية، يضاف إلى ذلك عمليات استصلاح الأراضي الزراعية بهدف استثمارها في عمليات الانتاج الزراعي، وخاصة بعد القانون العثماني الذي حفز الناس على استصلاح الأراضي وفلاحتها. رغم هذا الوصف السلبي عن الغطاء النباتي الفلسطيني، إلاّ أن هناك الكثير من الجبال والتلال التي حافظت على الغطاء النباتي فيها، وقد وصلت مساحة الغابات الطبيعية في فلسطين عام 1971 إلى حوالي 197472 دونم في الضفة الغربية، وتناقصت تلك المساحة لتصل عام 1999 إلى حوالي 183262 دونم[1].

1. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا. «واقع الغابات في فلسطين». (تاريخ الدخول للموقع: 2 كانون الثاني 2016). http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=8122

واهتمت الحكومات الاستعمارية التي سيطرت على فلسطين في بعض الأحيان بزراعة بعض الجبال بالأشجار الحرجية، وبشكّل أساس أشجار الصنوبر الحلبي، حيث بدأت زراعة الغابات «بطريقة منظمة في عهد الانتداب البريطاني في أعقاب سن قانون الحراج والغابات لسنة 1927م. وتشير الاحصائيات إلى زراعة 2306 دونمات في الضفة الغربية بأشجار الصنوبر الحلبي والسرو، بين عامي 1927 و1950م، وزراعة 2500 دونم في قطاع غزة بأشجار الأكاسيا»[2].

وفي فترة الانتداب البريطاني على فلسطين تم زراعة مجموعة من الغابات أهمها: أم صفا عام 1927 في محافظة رام الله، ونحالين عام 1927 في محافظة نابلس، والعيزرية 1945 في محافظة القدس، والقرن 1935 في محافظة الخليل (أبو عياش وآخرون 2007). وفي هذه الورقة سوف يتم الحديث عن أحراش أم صفا.

2. المصدر ذاته.

أحراش أم صفا

تقع أحراش أم صفا في شمال مدينة رام الله، وعلى أراضي قريتي أم صفا والنبي صالح، ترتفع أحراش أم صفا عن سطح البحر حوالي 650م، تختلف المصادر حول حجم مساحة أحراش أم صفا، وهذا الاختلاف يرجع إلى تقسيم أراضي الغابات إلى عدة مسميات، ولكن بالرجوع إلى المصادر والحوار والنقاش والجولة الميدانية إلى المنطقة بمرافقة مسؤول ملف الغابات في مديرية الزراعة في رام الله، فإن مساحة أحراش أم صفا تتراوح بين 200-300 دونم، وفي دراسة أخرى بلغت مساحة المنطقة المزروعة والمحميّة في أم صفا في العام 1974 حوالي 228 دونم وقد خسرت المحمية جزء من مساحتها (حوالي 28 دونم حتى العام 2007) نتيجة اعتداء مستوطنة حلميش القريبة منها (أبو عياش وآخرون 2007: 171). ويشير عيسى نقلاً عن وزارة الزراعة الفلسطينية أن مساحة الأحراش مع خلة الثعلب وخلة عامر وخلة الكوابيش المجاورة تصل إلى 733 دونم، وحسب دراسة عيسى فإن أراضي الأحراش موزعة كالتالي:

القرية	الموقع	الحوض	القطعة	المساحة	الملكية
النبي صالح	خلة الثعلب	3	45	321	المملكة الأردنية
النبي صالح	خلة الثعلب	3	46	20	المملكة الأردنية
النبي صالح	خلة عامر	2	151	328	المملكة الأردنية
أم صفا	خلة الكوابيش	2	98	16	المملكة الأردنية
أم صفا	خلة الكوابيش	2	617	50	المملكة الأردنية

(المصدر: وزارة الزراعة الفلسطينية 2009، كما ورد في عيسى 2013: 28)

الأراضي التي عليها الأحراش حالياً كانت أحراش غير مستغلة زراعياً، فقد كانت غابة طبيعية تنتشر فيها الأشجار والنباتات البرية مثل السويد والعبهر والبطم الفلسطيني والخروب والقيقب والبرزه والبلوط، وتشير المصادر إلى أنه تم إضافة أشجار الصنوبر والسرو إلى المنطقة في العام 1927، وتم اعتبارها منطقة حرجية محميّة. واستمرت زراعة الأحراش خلال فترات مختلفة من عقد الانتداب البريطاني وهي كالتالي:

الموسم	العدد الكلي للأشجار المزروعة	الصنوبر الحلبي	السرو العمودي
1929\1928	20400 شجرة	9500	1200
1931\1930	33000 شجرة	26900	3420
1933\1932	23816 شجرة	1100047	10500

(Liphschitz & Biger, 2004 :2013 كما ورد في عيسى)[30]

ورغم أن بداية الزراعة الحرجية في المنطقة بدأت في فترة الانتداب البريطاني، إلّا أنّ الاهتمام بتشجير المناطق الجبلية زاد خلال فترة الحكم الأردني على الضفة الغربية، ويمكن تخيّل حالة الاهتمام الشديد للحكومة الأردنية بإنشاء مناطق ومحميات حرجية، وبزراعة أشجار الصنوبر في المنطقة من خلال حديث كبار السن في القرى المجاورة لأحراش أم صفا، فقد قام العديد من هؤلاء بالعمل بزراعة تلك الأحراش بأجر من قبل الحكومة الأردنية، وكانت الحكومة الأردنية تحرص على تعيين «طوّافين» أو حرّاس للأحراش، لمنع استخدام الناس الجائر والعشوائي لتلك الأحراش مما يؤدي إلى تدميرها[3].

3. مقابلة مع نصر عمر طنارة، ومقابلة مع عطا حسن طناطرة، أجريت المقابلتين بتاريخ 22 كانون الأول 2015.

5

في الجهة الغربية من الأحراش يوجد بناء من الحجر المصقول، وكذلك آثار بنايتين بالحجر والطين، وتقول بعض الروايات أن تلك البنايات كانت ثكنات عسكرية، وأنّ الملك حسين زار الثكنة العسكرية في تلك البنايات لبضع ساعات، بينما تتحدث الروايات الأخرى، وهي الأرجح، أنّ تلك البنايات استخدمت كسكن لحارس الأحراش، حيث كان أبو قاسم العرقوب من جيبيا حارساً لتلك الأحراش في فترة الحكم الأردني، مما مكّنه من السكن مع عائلته داخلها[4]. إن تعدّد الروايات حول وجود ثكنة عسكرية داخل الأحراش يعود إلى وجود معسكر استخدم أيام الانتداب البريطاني في الموقع الذي أقيمت فيه مستوطنة حلميش، وبجانب المعسكر أقيم في فترة الحكم الأردني مدرسة التدريب العسكري[5].

في الجانب الموازي للشارع الرئيسي، أي في الجهة الجنوبية من الحرش، يوجد أرض

4. المصدر ذاته.
5. مقابلة مع أبو محمد التميمي، أجريت المقابلة بتاريخ 26 كانون الأول 2015

خاصة تعود ملكيتها لفايز بيك الإدريسي، وهو ضابط في الشرطة الفلسطينية في فترة حكومة الانتداب البريطاني تعود أصوله إلى ليبيا، وتبلغ مساحة أرضه حسب مصادر مديرية الزراعة في محافظة رام الله حوالي 85 دونم مزروعة بأشجار الزيتون[6].

وحسب دراسة أجريت عن التنوّع الحيوي في أحراش أم صفا، فقد توصلت الدراسة إلى أن الأحراش تتمتع «بتنوع حيوي نباتي زاخر»، حيث يوجد في الحرش أكثر من 20 نوع نباتي، بالإضافة إلى العديد من الأشجار والشجيرات والأعشاب والحشائش والمتسلقات (عيسى 2013: 31-32).

يوجد العديد من المشاهد الطبيعية التي تميز أرض فايز بيك عن أراضي الأحراش، وأهم تلك المشاهد هي وجود أشجار الزيتون ووجود العديد من السناسل الحجرية التي تدلّ على استصلاح واهتمام كبير بتلك الأرض في الماضي، وذلك رغم انتشار أشجار الصنوبر والسرو وغيرهما من النباتات التي تحاول السيطرة على المشهد البصري للمنطقة، وحسب روايات أهالي أم صفا، فإن أرض فايز بيك كبيرة جداً، وقد حصل عليها بفضل رتبته كضابط كبير أيام الانتداب البريطاني، وقام فايز بيك بتشغيل أهالي القرى المجاورة لاستصلاح الأرض وبناء السناسل الحجرية وزراعتها بمختلف أنواع الأشجار، ولا سيما التين والعنب والزيتون، بالإضافة إلى ذلك يوجد بيت لفايز بيك كان يقيم فيه أثناء تواجده في رام الله[7].

تقع أحراش أم صفا في المنطقة المصنفة «ج» حسب اتفاقيات أوسلو 2، وبالتالي تتبع المنطقة التي توجد فيها الأحراش حالياً تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، وليس ذلك فحسب، فإن إقامة المستوطنات في التلال المحيطة من الأحراش أدى إلى تهويد الأحراش وإضفاء معالم الهوية اليهودية عليها، ففي مدخل الأحراش

6. مقابلة مع مسؤول دائرة الأحراج والغابات في مديرية الزراعة في رام الله عزمي سليمان. أجريت المقابلة بتاريخ 7 كانون الأول 2015
7. مقابلة مع نصر عمر طنارة، ومقابلة مع عطا حسن طناطرة، أجريت المقابلتين بتاريخ 22 كانون الأول 2015

يوجد يافطة وخارطة مكتوب عليهما باللغة العبرية، وتطلق وزارة الزراعة الصهيونية على الأحراش كما هو مكتوب على مدخلها باللغة العبرية «أحراش واحة الشهد»، ووجود مستوطنين بالقرب من مدخل الأحراش، والمشهد البصري للحرش، والذي يعطيه حالة من الاعتقاد بأنه أرض تابعة للمستوطنين، أدى إلى عزوف وتردّد الفلسطينيين، وخاصة من القرى البعيدة على زيارتها والاستجمام فيها، ويزداد

العزوف الفلسطيني عن زيارة الأحراش في فترات التوتر السياسي وتأزّم الصراع.
إن تلك الوصاية على الأحراش من قبل وزارة الزراعة الإسرائيلية، واعتبار المكان للتنزّه والاستجمال الإسرائيليين، قام الإسرائيليون بوضع مقاعد حجرية في الأحراش وتوصيل خطوط المياه وإقامة بعض التجهيزات لأغراض الشوي، ويقوم المستوطنون في الاحتفال بأعيادهم الدينية والوطنية داخل هذه الأحراش. كما أن جمع النفايات من الأحراش يقوم بها الإسرائيليون.
كان الفلسطينون يقصدون تلك الأحراش للتنزه قبل انتفاضة الأقصى، وأدت أحداث انتفاضة الأقصى إلى تقلّص كبير في أعداد الفلسطينيين الذي يقصدون الأحراش للتنزه، واقتصرت على أهالي القرى المحيطة بالأحراش (أم صفا والنبي صالح بشكل أساسي)، وتم تدمير وسائل التنزه، وخاصة حنفيات المياه والمغاسل من قبل الفلسطينيين[8].
إن السيطرة الإسرائيليّة على أحراش أم صفا، أدى إلى عدم قدرة وزارة الزراعة الفلسطينية على التدخل بشكل حقيقي في تلك الأحراش، ويقتصر دورها على تعيين حارسين لتلك الأحراش وحمايتها من الاستخدام الفلسطيني الذي يؤدي إلى تدمير التنوع الحيوي والغطاء النباتي في الأحراش، وبطبيعة الحال لا يستطيع هؤلاء الحراس التدخل وحماية الأحراش من الاستخدام الإسرائيلي الخاطئ لها، بالإضافة إلى ذلك تقوم وزارة الزراعة وكذلك سلطة البيئة الفلسطينية بعمل الدراسات على الغطاء النباتي والتنوع البيئي في الأحراش. وهناك العديد من المسارات البيئية فيها.

8. مقابلة مع رئيس المجلس القروي لقرية أم صفا أبو آدم. أجريت المقابلة بتاريخ 22 كانون الأول 2015

فايز بيك الإدريسي[9]

ينحدر نسب الإدريسيّ من العائلة السنوسية ومن ذريّة العائلة الليبية المالكة، درس الإدريسي في الكلية العسكرية في اسطنبول، بعد تخرجه تجنّد في الجيش التركي وحصل على رتبة ضابط. انضم في العام 1920 لشرطة الانتداب البريطاني وترقّى إلى درجة ضابط. في سنوات الثلاثين عيّن قائداً لمنطقة الحدود الشرقية بين فلسطين وشرقي الأردن الممتدة من أريحا حتى بيسان، في إطار عمله كان مسؤولاً عن عيد واحتفالات النبي موسى. في العام 1932 قلّد المندوب السامي البريطاني السير ارتور فوخوب الإدريسي «رتبة الامبراطورية البريطاني»، وهي من

9. المعلومات عن فايز بيك الادريسي في هذه الورقة مأخوذة من المصدار التالي:
سليمان، إلياس وكلود سليمان. 2013. "فايز بيك الادريسي: القائد العربي لمنطقة القدس ايام الانتداب البريطاني". (تاريخ الدخول إلى الموقع: 30 كانون الأول 2015).
http://almawked.com/?page=details&newsID=4920&cat=2

أعلى المراتب وأوسمة الشرف والفروسية، رأت الإدارة العسكرية البريطانية بالإدريسي شخصية ممثلة ولها حضور، فترددوا عليه وزاروه في بيته مع شخصيات رسمية زارت فلسطين، وكان الإدريسي يستضيفهم بحسب العادات والتقاليد العربية. في فترة الثورة العربية الكبرى (1936- 1939) أظهر الإدريسي طاعته وإخلاصه للبريطانيين، الأمر الذي أدى إلى محاولات فاشله لاغتياله على يد بعض الثوّار العرب.

في وقت لاحق تم تعيين الإدريسي نائباً لقائد شرطة لواء القدس وقائد قوى الشرطة التابعة لها. كان مقره في بناية القشلة في البلدة القديمة. في العام 1939 جاء الجنرال البريطاني ادموند ايرونسايد إلى القشلة لمقابلة الإدريسي وتهنئته على أعماله.

في فترة الحرب العالمية الثانية وصف الصحفي اليهودي حبيب كنعان الإدريسي بأن "لغته الانجليزية ممتازة... زيّه العسكري مليء بأوسمة الشرف والميداليات العسكرية تقديراً له منذ خدمته العسكرية في الجيش التركي وفي الشرطة الفلسطينية وبسبب أعماله من أجل سلامة الجمهور. اعتقد أنه الضابط العربي الوحيد في الشرطة الفلسطينية الذي حاز على لقب رتبة الامبراطورية البريطانية «.

في بداية شهر يونيو 1948 أمر الملك عبدالله الأول إبعاد واقصاء أربعة ضباط شرطة والتي كانت قد عينتهم اللجنة العربية العليا، من بينهم الإدريسي. وقد عيّن الملك مكانهم أربع ضباط من الجيش العربي.

في العام 1953 تم تعيين الإدريسي قائداً مسؤولاً عن شرطة اللد، بقى في هذا المنصب حتى احالته إلى التقاعد وعودته إلى أريحا حتى وافته المنية في العام 1969.

في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (1920-1948) أقام الإدريسي في رام الله صيفاً وفي أريحا شتاء لأنه كان متزوجاً من امرأتين وله بيتان. ولا تزال مزرعته وبيته قائمتان في أريحا، ويوجد يافطة على مدخل المزرعة مكتوب عليها "مزرعة المرحوم فايز بيك الادريسي".

الخاتمة

تتعرض أحراش أم صفا إلى عملية تهويد كثيفة، وذلك نتيجة لبناء العديد من المستوطنات بالقرب من مداخلها الرئيسيّة، ووجود العديد من المشاهد اليهودية فيها، كاليافطات والمقاعد وحاويات النفايات وغير ذلك، وقيام المستوطنون بإحياء أعيادهم الدينية والوطنية داخل تلك الأحراش، ووضع الأحراش تحت الحماية الإسرائيلية، كل تلك المشاهد والأسباب أدت إلى عزوف السياحة والزيارات الداخلية الفلسطينية إليها تجنباً للاحتكاك مع المستوطنين.

إنّ عملية تهويد الأماكن في فلسطين هي عملية مبرمجة ومخططة من قبل حكومة الاحتلال الإسرائيلي، حيث يقوم أحياناً بزراعة الأشجار الحرجية لإخفاء معالهم الهوية الفلسطينية، وفي أحيان أخرى يقوم بتدميرها لصالح بناء المستوطنات وشق الطرق الالتفافية، ففي قرية صفورية قرب الناصرة «زرعت غابة كبيرة على بقايا البيوت المهجورة لتزيين الموقع السياحي

لتسيبوري\ صوفرا القديمة بأرضيتها الفسيفسائية الجميلة» (بنفنيستي 2001: 283)، ويتحدّث الأسعد عن قريته أم الزينات وعملية التهويد: «وأقرأ أنّ المستوطنين الصهاينة بعد أن هدموا قريتنا أنشأوا إلى جوارها على بعد كيلو متر واحد مستعمرة أطلقوا عليها اسم إلياقيم. اسم مغلق لا يعني شيئا. ولا أعرف كيف تبدو المستعمرة الآن، ولكن كل ما أعرفه أن قريتنا ما زالت أسس بيوتها ماثلة وقد عرشت وامتدت فيها وحولها أشجار الصبر والزيتون والزعرور البري. إنها مقيمة هناك، تتكاثف على أرضها وأحجارها الأشجار لتكون غابة، ولكن ما أن تحترق هذه الغابة ستظهر واضحة بيوت القرويين والطرق التي تؤدي إلى القرية.. تلك المعبدة وغير المعبدة» (الأسعد 2013: 7-8)، وفي الوقت الذي تقوم به سلطات الاحتلال الإسرائيلي من تدمير الغطاء النباتي والأحراش في الكثير من المناطق داخل فلسطين لإقامة المستوطنات عليها، فقد أجمعت الدراسات التي أجريت على الغطاء النباتي والتنوع الحيوي في فلسطين أن للاحتلال دور مدمر لذلك، وحسب دراسة شركس (2005)، فإن الاحتلال صادر حوالي 20310 دونم من الغابات الحرجية بهدف إقامة المستوطنات وبناء جدار الفصل العنصري وشق الطرق اللالتفافية (كما ورد في: عيسى 2013: 64).

إنه لمن دواعي الضرورة، قيام السلطة الفلسطينية، ممثلة بالمؤسسات والوزارات ذات العلاقة (سلطة البيئة، ووزارة الزراعة)، من وضع الخطط والاستراتيجات لتشجيع الاهتمام الشعبي والمؤسساتي الفلسطيني بتلك الأحراش، وذلك من خلال التدخل المباشر في إعادة تعريب الأحراش عبر وضع الاشارات العربية –الفلسطينية فيها، مما يضفي على الأحراش الهوية الفلسطينية، بالإضافة إلى ذلك تشجيع وتنظيم الرحلات والسياحة الفلسطينية إليها، وإصدار العديد من النشرات التعريفية بالأحراش وبطبيعة الغطاء النباتي والتنوع الحيوي فيها، وكذلك إصدار النشرات التي تتضمن خرائط المسارات البيئية داخل الأحراش، وتسمية كل مسار باسم عربي-فلسطيني مستلهم من أهم مميزات المسار.

المراجع

- الأسعد، محمد. 2013. أطفال الندى (رواية). القدس: دار الفيل.
- أبو عياش، عادل وآخرون. 2007. مسح وتصنيف أشجار الغابات في فلسطين. (بحث مقدم للمنظمة العربية للتنمية الزراعية).
- بنفنيستي، ميرون. 2001. المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ 1948. ترجمة: سامي مسلم. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار).

  http://forestry.arij.org/pdfs/Invent_and_Classify_Forest_Trees-Part_One.pdf
- سليمان، إلياس وكلود سليمان. 2013. "فايز بيك الادريسي: القائد العربي لمنطقة القدس ايام الانتداب البريطاني". (تاريخ الدخول إلى الموقع: 30 كانون الأول 2015).

  http://almawked.com/?page=details&newsID=4920&cat=2
- عيسى، موسى. 2013. تدهور التنوع الحيوي النباتي في حراج أم صفا وحراج جيبيا. بيرزيت: جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير غير منشورة.
- كنعان، توفيق. 1998. الأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين. رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية.
- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني –وفا. «واقع الغابات في فلسطين». (تاريخ الدخول للموقع: 2 كانون الثاني 2016).

  http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=8122
- مقابلة مع نصر عمر طنارة، ومقابلة مع عطا حسن طناطرة، أجريت المقابلتين بتاريخ 22 كانون الأول 2015.
- مقابلة مع رئيس المجلس القروي لقرية أم صفا أبو آدم. أجريت المقابلة بتاريخ 22 كانون الأول 2015.
- مقابلة مع أبو محمد التميمي، أجريت المقابلة بتاريخ 26 كانون الأول 2015.
- مقابلة مع مسؤول دائرة الأحراش والغابات في مديرية الزراعة في رام الله عزمي سليمان. أجريت المقابلة بتاريخ 7 كانون الأول 2015.

نروي

الأرض والحكاية

يهدف مشروع نروي للحفاظ على الهوية والإرث وطرق العيش في المجتمعات الفلسطينيّة. حيث نسعى من خلال هذا المشروع إلى إحياء ستة مناطق أثريّة وطبيعيّة حول محافظة رام الله، والتي تشكّل جزء هام من الهوية الفلسطينية التاريخية والإرث الحضاري الفلسطيني. ينفذ المشروع مؤسسة الرؤيا الفلسطينية، بالشراكة مع وزارة السياحة الفلسطينية وبتمويل من مؤسسة HEKS مجلس المساعدات الكنسي السويسري.

مؤسسة الرؤيا الفلسطينية

ش. الرشيد, عمارة الغرفة التجارية الطابق الخامس, القدس

02-6285080 | info@palvision.ps | www.palvision.ps